الذوق العام..

قضية الأسبوع

انحدار خلف الخطوط الحمراء

الذوق العام مظهر يعكس كيف يفكر إنسان هذه الأرض، ويعكس منظومة القيم التي يسير عليها هؤلاء البشر.

لكن المزاجية والأنانية والعشوائية ولّدت مختلف الممارسات التي أحدثت تخلخلاً في منظومة الذوق العام، وشكلت في نموذجها السلبي إسقاطاً لسلوك اجتماعي ملموس يُفعّل يومياً في الشارع العام وفي الدوائر الوظيفية، والحارات، وفي المدارس ومواقف الباصات وسيارات الأجرة، وفي الحركة المرورية، وقاعات الأعراس.

مثل هذه المفسدات للذوق العام جعلت البعض يدعي أنه يعرف كل شيء أو أنه خبير بشيء معين مثل بعض مهندسي الأكترونيات والآلات الكهربائية وبعض ورش اصلاح السيارات.

ثمة عناصر وشرائح في المجتمع تتوه في براري فشلها ومقيدة بضعف إرادتها.. تهوي في فراغ يلوك أيامها بقسوة.. يحاول البعض إيماناً بضعفه وعجزه، إثبات وجوده باتباع سلوك يكسر القيم واكتساب وتلبية ثقافة تشوّه المبادئ وتخدش - بعضها- الحياء وفي كل أحوالها تسيء الى الأرض والإنسان.

اختلالات الذوق العام جسدت ابتعادنا عن قيمنا وتعاليم ديننا الحنيف، تمخضاً عن عوامل وضغوطات نفسية واجتماعية وسوء تربية منزلية ومدرسية..

تحقيق/ أسامة حسن ساري

Osama- sar@hotmail.com

اختلالات:

المزاجية.. الأنانية.. اللامبالاة.. تصرفات يتعثر فيها السلوك.

■ ■ ■

الذوق العام.. عالمٌ يدهش من يحلو له التجوال في شعابه وتأمل مفرداته العجيبة..

صبغته الكلية اشتملت على بعض نماذج تمثل خليطاً من السلوك المتعثر والمنحرف، والاختلالات المفسدة..

وبالتالي ينفرد جزءٌ كبير من تلك الصيغة بجماليات وروائع زكية ذات ثقافة محمودة تجسد الملامح الحقيقية للعقل السليم والتربية الحسنة والإتزان النفسي.

● بالبساطة المذهلة تتمكن من تصفح قاموس الذوق العام إذا أدركنا أن الشوائب التي تخنق صفاءه مستقاة من أسواق لا تنقصها الفوضى، وشوارع وطرقات لاتخلو من الهمجية والعشوائية والمنغصات.. ومرافق ومؤسسات وهيئات ومصالح عامة وخاصة تموج في ممراتها وحجراتها التصرفات المضطربة والممارسات السيئة.

رغم بساطة بعض الممارسات السلبية.. وعفوية بعضها -ربما القليل- وجزء منها يشغل حيزاً غير ملفت.. إلا أن السيول نتاج فطرات، والحصوات تنتهي بجبال.. والذوق العام معيار لثقافة المجتمع وأنماط تفكيره ومؤشرات لمستقبل حياته.. وأشد إفساداً للذوق العام أن يكون القدوة في المنزل أو المدرسة أو المسئول المباشر في جهات العمل مصدر الخلل وعدم الالتزام.

هذه المشاهدات أدهشت.. أثارت الضحك.. الأسى.. الاستغراب.. أيقظت الثنائيات في النفوس.. الألم والأمل.. وشكّلت سلسلة من التساؤلات.

رغم وجود حمامات

● في الشارع العام حيث تكثر الحركة وتتنوع أشكال الممارسات السلبية التي تنم عن وعي اجتماعي شبه منعدم، وتدن في مستوى التربية الأسرية.. واللامبالاة بمشاعر الآخرين أياً كانوا..

رغم اهتمام أمانة العاصمة بالتوسع في إنشاء الحمامات العامة، إلا أن مواقف الباصات في فرزة «شعوب التحرير، والتحرير الحصية» القائمة أمام المتحف الوطني، وفرزة الحصبة جوار جولة الحباري، وأيضاً بعض الشوارع الفرعية والمباني التي لم يُنتّه منها، وفرزة باب اليمن، ومواقف سيارات الأجرة، أرضياتها المسفلتة أصبحت مطلية بمخرجات الإنسان..

السكان جوار هذه المواقع يشكون بشكل رئيسي من سائقي الباصات الذين يبخلون بـ«عشرة ريالات» لصاحب الحمامات العامة، فيتبولون جوار باصاتهم وتنشط هذه الممارسة في الليل..

ناهيك عن بعض المواطنين المستعجلين الذين يبحثون عن أقرب شارع فرعي خفيف الحركة ليقضوا حاجتهم جوار جدران المنازل وعلى الطرقات..

هذه السخافات وقلة الذوق لم تقتصر على هذه الممارسة بل تجاوزتها الى تجاهل صناديق القمامة وسلات المهملات التي وضعتها أمانة العاصمة جوار كل محل تجاري، فتشاهد أكياس القمامة في كل شارع مرمية جوار البراميل أو بعيدة عنه بأمتار.

بعض النساء لوحظن في الصباح الباكر في منطقة باب السباح وشعوب وبعض الشوارع الفرعية يرمين أكياس القمامة على الأرصفة، وتمر سيارات النظافة ولا تنتبه لهذه الأكياس..

المناظر المؤذية كثيرة.. حتى الأطفال الذين لم يربهم آباؤهم يقومون بتوزيع أكياس القمامة على الشوارع والأرصفة بحجة أن سيارات النظافة ستقوم بالتقاطها..

وفي بعض الشوارع تختفي سلات المهملات بشكل غريب..

البعض قد يهتم بنظافة نفسه ظناً منه أن المظهر الشخصي يفي بالغرض.. بينما نظافة البيئة تدل على نظافة السكان فلا غرابة إن لاحظنا السيارات الفارهة أو السيارات البسيطة بما تحمله من ركاب تهمهم النظافة الشخصية، لكنهم يقومون بقذف الفضلات وقشر البرتقال وقنينات الماء الفارغة وعلب المشروبات المستهلكة من نوافذ سياراتهم الى وسط الشارع أو الطريق الإسفلتي.. بلا أدنى اهتمام بل ويشجعون أطفالهم على فعل ذلك..

● في إحدى الساعات الأولى من إحدى ليالي رمضان كنت مع بعض الرفاق على سيارة نقل دابهاتسو، متوقفين أمام مجموعة اللوزي التجارية.. كان عامل النظافة قد انتهى من تنظيف تلك البقعة، لكن سائق السيارة بلا أدنى احترام، كان يرمي أعضان القات على الطريق.. عاد عامل النظافة لالتقاط الأعضان المرمية قال له سائق السيارة: «كم جهدك تكنس بعد كل واحد؟» أجابه عامل النظافة قائلا: «وأنت كم جهدك توسخ الشارع ولا تستحي؟!»..

على العكس من ذلك تواجهك عدة أشكال غير نظيفة من الناس، ملابس متسخة، وآثار «البردقان» على أفواههم وحتى تصرفاتهم قذرة جداً..

قال المواطن- محمد عبدالمجيد الحرازي: إن هؤلاء أشد إيذاء من غيرهم في مظاهرهم الشخصية لكنهم حريصون على النظافة العامة فهم لا يرمون الفضلات على الطرقات..

مدارس وأعراس

ومن الممارسات المؤذية للذوق العام وللحريات الشخصية تعرض بعض الشباب للنساء في الشوارع والأسواق، ومغازلتهن بشكل مخجل ومريق لماء الوجه، المصيبة أن الكثير من رواد الأسواق وأصحاب المحلات يضحكون لهذه الممارسات والسلوكيات المنحرفة.. وحسب الفتاة- انتصار- ٢٥ عاماً:

«لايوجد من يردع الشباب عن هذه التسكعات وإيذاء الفتيات وهذا يجعلهم يتمادون في تصرفاتهم الجارحة للكرامة.»

● وفي الشارع العام والحارات يمكن رصد عشرات المشاهد السلبية التي لايفكر الكثيرون أنها تفسد الذوق العام.. بينما من يمارسون هذه السلبيات يتأذون من غيرهم إن مارسها، كأن يقوم أحد المنازل بغسيل المفروشات في حوش المنزل وماء الغسيل يسيل الى الشارع لعدة أمتار وخاصة في الحارات التي لم تتم سفلتتها.. تشعر أنك لست في أمانة العاصمة حيث يفترض أن يكون المجتمع راقياً محافظاً على نظافة بيئته.. فلا يكون سبباً في إيجاد بيئة خصبة لتوالد الذباب والصراصير والبعوض الناقلة للأمراض، ولتصاعد الروائح الكريهة وإفساد مظهر الشارع.

أيضاً الإزعاج الشديد والهائل الذي لا تمل الألسن من الشكوى منه.. الذي يصدر من قاعات الأعراس..

حيث يفترض أن تكون الميكرفونات داخل القاعة فقط.. لكن العكس تماماً يحدث لمدة تزيد عن ٤٨ ساعة، ضجيج ميكرفونات الأعراس يهدم سكون المنطقة، غناء وأناشيد، بينما داخل القاعة الأصوات خافتة جداً.. المرضى يشكون، المسنون يشكون، وأيضاً الأمهات اللواتي يفقد أبناؤهن لذيذ المنام بسبب ضجيج الميكرفونات، قاعات الأعراس، أو ميكرفونات المدارس.. والأخيرة هذه تستمر في الصباح لأكثر من ساعة وفي المساء «وقت الظهر» أكثر من ساعة أيضاً..

يقول سامي رزيق- أحد السكان جوار مدرسة الشهيد الوزير منطقة شعوب: المدارس يفترض أن تكون منبر تعليم القيم والاحترام لا أن تكون مصدر إزعاج للسكان، فما حاجة السكان الى ضجيج طابور الصباح.. لهذا فإن الأجيال التي تنتجها المدارس متعودة على الإزعاج..

كل هذه الضوضاء والضجيج وخاصة في الأعراس تتم تحت مسمى الممارسات للحرية الشخصية.. حتى الى حد قيام بعض المعرسين بقطع الطريق «الشارع العام» وتحويل خط حركة السيارات.

● وفي إطار هذه المسألة القيمية يبدي الشاب- إبراهيم سرحان- ٢٣ عاماً ملاحظته المطلة على بعض القيم والأخلاق الفردية التي يجب أن يتحلى بها الإنسان أينما كان، وهي كما جاء على لسانه:

مظاهر مؤذية:

تجاهل الحمامات العامة.. رمي الفضلات على الطريق.. مخالفة قواعد المرور.

■ ■ ■

«وأنت تمشي على الرصيف أو في الأسواق يمر من جوارك شخص يدكمك بكتفه ويوقع من بعض الأشياء التي تحملها وينصرف دون أن يعتذر أو يساعدك على إلتقاط أشيائك بكل بلاهة وبلادة..»

باصات غريبة

في الطرقات حيث حركة المرور وازدحام وسائل النقل، وعلى ظهر الباصات والحافلات بوجه الخصوص يستطيع المرء أن يرى الوجه الآخر للهاوية التي ينحدر إليها الذوق العام والسلوكيات المجتمعية..

الباصات توفر مشاهد غريبة وكثيرة للطبائع المختلفة، نلاحظ سلوكاً غير طبيعي في تعامل الفرد مع الفرد، وتعامل الفرد مع الجماعة والعكس..

على متن الحافلات والميكروباصات التي تنقل الركاب من شارع الى آخر نشاهد كراسي زائدة ليست من صنع النصراني الذي أبدع هذه الوسيلة مراعياً فيها كافة المشاعر والقيم الإنسانية.

ومعظم الباصات التي تنقل الركاب في شوارع صنعاء نوافذها لاتنفتح، لأن هذه الوسائل صنعت بمواصفات خاصة لنقل وتوزيع البضائع والسلع التجارية وليس لنقل البشر.. لكن ماذا تقول في مجتمع لا رقيب عليه ولا ضابط..

أحد الركاب في ميكروباص يسير على خط الجامعة القديمة بدا متشنجاً على السائق بسبب شمس الظهيرة اللاذعة، وعدم انفتاح النوافذ..

وقد قال لنا الراكب- عبدالعزيز الشميري:

«هذه الباصات سيئة لا تصلح حتى لنقل الحيوانات فكيف ببني آدم.. التهوية منعدمة، وتتصاعد روائح كريهة نتيجة الازدحام والعرق بشكل مؤذ خاصة مع وجود مدخنين لا يحترمون شعور الركاب»..

● تلاحظ أيضاً جلوس البعض فوق الباص بطريقة غير لائقة يرفع رجله الى وجه من بجواره.. وتقارب الكراسي وضيق المساحة يلعب دوراً في ذلك، وخاصة عندما يكون طاقة الميكروباص ستة ركاب فقط، لكن السائق يحمل في بعض الأحيان ٨-٩ أشخاص.

والبعض يصعد على الباص وللوصول الى المقعد الخلفي يطأ بحذائه المتسخة مقعد الغير فيفسده.. ويمكن أن يضع قدمه على قدمك دون اعتذار.. كما أن أصحاب الباصات لايحترمون الركاب، يقومون بمحاولة أشبه بالمغازلة مع النساء والراكبات من خلال ملاحقة عيونهن بالمرايا الجانبية والمراة الأمامية، وفرقعة بعض الكلمات النابية دون مراعاة مشاعر الآخرين.

وأيضاً معاكسة الراغبات أو غير الراغبات في ركوب الباص.. وأحياناً يتزاحم أصحاب الباصات على الركاب ويتسببون في وقوع حوادث مرورية بدافع الطمع والجشع والأنانية والمزاجية التي يتعاملون بها مع بعضهم البعض ومع القواعد والأنظمة المرورية..

جنون سيارات

الحركة المرورية هي الأخرى تقدم استعراضات سلبية ومنافية للآداب.. مثل وقوف السيارات أمام المدارس وبالذات الخاصة دون مراعاة مشاعر الآخرين السائرين في الطرق..

ووقوف السيارات عند الجولات في أقصى اليمين، وعرقلة حركة السير والوقوف في الشوارع المزدحمة.. علاوة على وقوف بعض السيارات في قلب الخط ليتحدث سائقها مع سائق سيارة صديق، تمر الى جواره وتتوقف هي الأخرى.. ومن المشاهد السلبية التي سجلناها ويسجلها كافة أفراد المجتمع كل ساعة، التوقف الفجائي للسيارات دون إعطاء إشارة الى اليمين أو إلى اليسار.. واستفزاز أصحاب السيارات الفارهة للآخرين أثناء الازدحامات، واستخدام الأبواق بشكل مزعج جداً عند إشارات المرور..

إضافة الى مرور بعض السيارات من التقاطعات دون الانتباه الى السيارات الأخرى المارة.. ومما يفسد الذوق العام إهمال جندي المرور في التقاطعات.

● وفي شارع المطار وشارع الستين وبعض الشوارع الرئيسية تحدث مخالفة اتجاه السير «عكس الخط».. حتى لايذهب السائق الى أقرب تقاطع فيمشي في اتجاه معاكس.. والنتيجة حوادث مؤلمة.

● بعض أصحاب رؤوس الأموال أو المسئولين الكبار، يقيمون مطبات أمام منازلهم الفارهة، دون أي سبب، إلا لكي يخفف السائق السرعة ليعرف أن هذا منزل فلان الفلاني.. ونتيجة السرعة الجنونية التي يمارسها سائقو السيارات تقع الحوادث الأليمة في هذه المطبات التي يفاجأون بها.. وبسبب السرعة أيضاً في الشوارع الترابية تتصاعد الأتربة والغبار وتتضاعف نسبة المخاطر على المشاة..

● الى جانب كل هذا يصر البعض وبدافع الفضول على السير والتمشية فوق جسر الصداقة بالتحرير.. رغم أنه مخصص لسير السيارات فقط..

كما أن الأطفال يجسدون مشهداً ينم عن تدني التربية المنزلية، من خلال تعلقهم خلف السيارات التي تمر في حاراتهم أو قذفها بالأحجار والفضلات، والتلفظ بالفاظ نابية لا تدري من أين جاءوا بها..

سقط القناع

● نترجل صهوة الشرود.. دافع التأمل يجول بنا في ردهات وحجرات بعض المؤسسات والوزارات، نلاحظ ونمارس وننشني إلى أعطاف الخواء، والترهل الاجتماعي.. عندما نطرق باب مدير عام المكتب الفلاني، أو وكيل الوزارة العلانية أخاطبه، أقدم له أوراقي، وألاحظ موقفي متكرراً مع غيري ممن طرقوا باب هذا المسئول أو ذاك..

لايكلف نفسه الإصغاء الى المترددين عليه.. وبلا مقدمات تجدك تسأل نفسك: «لماذا يتجاهلني وهو مسئول علي؟»..

في كثير من الجهات المسئولون لايعيرونك اهتماماً وخاصة عندمايكون الحديث عن مصالح عامة، ربما لأن وراء ذلك كما قال غازي عصيم- أحد المترددين على إحدى الوزارات «مصالح شخصية لا صلة لك بها»..

● إلى مكتب أحد وكلاء الوزارات.. حيث يبدو الوكيل ذا ذوق رفيع وقريب من الناس، بابه لا يُغلق في وجه أي مواطن.. دلف مندوب صحيفة «الثورة»- محدثكم-..

المكتب يعج بالمواطنين المستفيدين وأصحاب القضايا والمعاملات المتأخرة والمعرقلة من قبل بعض مدراء ادارات الوزارة الذين يحلو لهم الإخلال بالذوق العام والعبث بالبسطاء.. اعتقد مندوب الصحيفة أنه الوحيد الذي أخلّ بالذوق العام ولم يحترم الموجودين منذ ساعات عندما تجاوزتهم بطاقته الشخصية وصفته الوظيفية الى مسامع الوكيل طالباً منه خمس دقائق للحديث.. وهي في الأصح أكثر من ربع ساعة.

إذا بقناع الذوق الرفيع يسقط- عن وجه الوكيل.. إنه يحب التلميع والملمعين، إذن يتجاهل الموجودين.. ويتحدث مع مندوب الصحيفة..

● أوراق الناس متراكمة على طاولة مكتب الوكيل في انتظار التوقيع والتوجيهات.. لكن القناع يسقط مرة ثانية وثالثة وعاشرة، إذ يتتالى أبناء المسئولين وأصحاب الوجاهات والتجار وأعضاء مجلسي النواب والشورى على مكتب الوكيل لتجهز معاملاتهم قبل غيرهم ممن سبقوهم بساعات..

ذوق هذا المسئول الذي يتعامل به مع المستفيدين وخاصة البسطاء غير المألوفين، يفسر بقاء بعض المعاملات في أدراج المكاتب عدة أيام دون أن تجهز.. أيضاً كما قال- محمود الشاحذي- متردد على وزارة أخرى: «بقاء المواطن المسكين أكثر من اسبوع على باب مكتب المسئول دون أن يتسنى له مقابلته»..

إذن باب مكتب المسئول مفتوح، لكن أبواب الذوق العام داخل المكتب مغلقة.. ليس المسئول بلامبالاته وعدم اهتمامه واستهتاره بالبسطاء، وحده ساهم في إفساد الذوق العام.. بل أيضاً أولئك الذين يصرون على كسر القوانين والرغبات لصالح مصالحهم الشخصية، أو لأنهم مستعجلون بتجاهلون الأخلاق والقيم والمبادئ الإنسانية.. مستغلين نفوذهم ووجاهاتهم وعلاقاتهم بالمسئولين لتجاوز الآخرين..

أو حتى في منظر بسيط- أمام نافذة أمين الصندوق

علم الاجتماع:

ليس إلا إنعكاساً سلبياً لمفاهيم الأفضلية.. وخوف المترفين من المجتمع المثالي.